النقل الديداكتيكي للدرس العقدي:
إشكالات علمية وأسس منهجية السلك الإعدادي نموذجا

حسناء الخسوي
أستاذة مادة التربية الإسلامية
مديرية الصخيرات تمارة (المغرب)

ملخص البحث:

يعالج هذا البحث الإشكالات التي تعترض النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في السلك الإعدادي ، وقد بين البحث أنها تتنوع باعتبار مصدرها، إلى إشكالات تتعلق بطبيعة الدرس العقدي وأخرى تتعلق بالأستاذ والمتعلم، و بالكتاب المدرسي. إلى جانب ذلك حدد البحث أيضا أسسا علمية تحقق النقل الديداكتكي الأمثل للدرس العقدي، منها المنهجي والمعرفي والبيداغوجي والديداكتيكي.

الكلمات المفاتيح: النقل الديداكتيكي، الدرس العقدي، الإشكالات العلمية، الأسس المنهجية، المتعلم، الأستاذ.

مقدمة:

النقل الديداكتيكي مرحلة دقيقة في العملية التعليمية التعلمية، تنقل فيها المعرفة من أفقها النظري المجرد إلى المستوي التعليمي، باختلاف مستوياته وتخصصاته.

وهو في الدرس العقدي من أهم المسائل التي تستدعي اهتمام الباحثين. فهو يرتبط بالجانب النظري الكلامي من جهة، وله آثار في واقع المتعلم من جهة أخرى، فأما من الجهة الأولى فلكونه يتحرى تدقيق المفاهيم العلمية وربطها بالأسناد الشرعية والأدلة العقلية، وتخليصها من الخلافات الكلامية. وأما من الجهة الثانية فهو يتوخى تثبيت العقيدة الصحيحة لدى المتعلم وربطها بالامتدادات السلوكية في حياته اليومية، صيانة له من الانحراف العقدي والشرك بمختلف مشاربه.

هذا وتكمن أهمية هذا البحث فضلا عما ألمح له سابقا، من أهمية المجال والموضوع عموما، في كونه يعالج مسائل علمية دقيقة، تتعلق بالإشكالات المنهجية التي تعترض المدرس أثناء النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في السلك الإعدادي رصدا وتصنيفا، تنبيها على خطورتها وتشديدا على ضرورة تجاوزها إلى جانب اقتراح أسس منهجية علمية تكون مرجعا للنقل الديداكتيكي للدرس العقدي منها ينطلق وإليها يرجع.

وهذه الورقة تروم الإجابة على الإشكالات الآتية:

- ✓ ماهي الإشكالات التي تعترض النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في السلك الإعدادي؟ وهل هي موحدة المصدر والنوع؟
- ✓ هل للنقل الديداكتيكي للدرس العقدي أسس علمية منها ينطلق وإليها يرجع؟
- ✓ وما هي خصوصية السلك الإعدادي؟ وهل منهاج التربية الإسلامية للسلك الإعدادي في صورته الحالية، يؤسس لنقل ديداكتيكي جيد للدرس العقدي؟

وقد خصصت هذه الدراسة في السلك الاعدادي لعدة أسباب، يمكن إجمالها في الاتي:

1. لكوني أستاذة ممارسة في هذا السلك، وقد صادفت مشاكل عدة في النقل الديداكتيكي للدرس العقدي.
2. خصوصية السلك الإعدادي باعتبار الفئة المستهدفة.
3. خطورة سوء تنزيل الدرس العقدي على المتعلم.

أهداف البحث:

- تشخيص الإشكالات التي تعترض النقل الديداكتيكي للدرس العقدي.
- اقتراح أسس علمية لتجاوز هذه الإشكالات.
- الإسهام في وضع مرجع للمهتمين بالنقل الديداكتيكي.

منهج البحث:

إن طبيعة هذا البحث تستلزم إعمال منهج استقرائي تحليلي.

فالاستقرائي، فيتجلى في تتبع الإشكالات التي تعترض النقل الديداكتيكي في السلك الإعدادي، من خلال تتبعها فيما تم إنجازه من البحوث في المجال، وكذا من خلال الممارسة المهنية.

وأما التحليلي: فلتحليل ما تم استقراؤه من إشكالات تعترض النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في السلك الإعدادي، وكيف يمكن تجاوزها، وتحديد أسس علمية للنقل الديداكتيكي السليم للدرس العقدي وقيوده وقواعده، وضوابطه.

الدراسات السابقة:

لم يخل هذا الموضوع من بعض الدراسات التي عالجت بعض جوانبه، خاصة المتعلقة بمسألة النقل الديداكتيكي بشكل عام:

- النقل الديداكتيكي، لخالد البورقادي: تحدث فيه عن مفهوم النقل وموقع النقل الديداكتيكي في المتلث الديداكتيكي، وكذا بين أهميته في العملية التعليمية التعلمية.

- النقل الديداكتيكي، لزهرة بوخاتمي: تحدثت فيه عن مفهوم النقل الديداكتيكي، وكيف تتم عملية نقل المعرفة من العالمة إلى المدرسية والتعليمية، وبينت أهمية هذا الموضوع.
- النقل الديداكتيكي في الكتاب المدرسي، المنهج البنيوي أنموذجا، لعبد العالي العفاقي: حصر الحديث عن النقل الديداكتيكي في الكتاب المدرسي، وفق المنهج البنيوي.

ومن البحوث التي تحدثت عن الإشكالات التي تعترض الدرس العقدي المعاصر: بحث: " مداخل تطوير الدرس العقدي بالغرب الإسلامي، لعمر مبركي.

تحدث فيه عن بعض الإشكالات التي تعترض الدرس لعقدي المعاصر، حصرها في ثلاثة: التعقيد والتجريد، وفصل النظريات العقدية عن الواقع، والبعد عن المنهج القرآني.

وكذا بحث "بناء الدرس العقدي من خلال منهج القرآن في عرض مسائل العقيدة، أهميته، معالمه، خطواته" حاول فيه بيان منهج القرآن في عرض المسائل العقدية، ومراحله وأهميته.

أما ما ميز بحثي عن باقي البحوث السالفة أنه خصص الحديث عن النقل الديداكتيكي في الدرس العقدي في السلك الإعدادي. فجمع بين النظري والعملي المنطلق من الممارسة المهنية لهذا الدرس. مع رصد إشكالات دقيقة مرتبطة به، وتحديد أسسا علمية لتجاوز الإشكالات المرصودة.

خطة الدراسة:

- ✓ مقدمة
- ✓ المبحث الأول: الإشكالات العلمية للنقل الديداكتيكي في الدرس العقدي في السلك الإعدادي.
- ✓ المبحث الثاني: أسس منهجية للنقل الديداكتيكي في الدرس العقدي في السلك الإعدادي.
- ✓ خاتمة

المبحث الأول: الإشكالات العلمية للنقل الديداكتيكي في الدرس العقدي في السلك الإعدادي.

في هذا المبحث أروم دراسة مجموعة من الإشكالات التي تعيق النقل الديداكتيكي السليم للدرس العقدي وتصنيفها، لأن تحديد نوع الداء ببيان مصدره يسهل تحديد العلاج المناسب.

وقد صنفت هذه الإشكالات باعتبارات عدة.

المطلب: الإشكالات المرتبطة بطبيعة الدرس العقدي

1- طبيعة الدرس العقدي

إن الحديث عن الدرس العقدي، يلزم الباحث الالتفات إلى خصوصيته من جانب المعرفة العالمة، وأنها مجال للنزاع بين الفرق الكلامية. منذ القرن الأول قد افترقت فرقا يضلل بعضها بعضا، واختلفت نحلا يكفر بعضها بعضا، ولا يزال اختلافها قائما إلى اليوم نشهد آثار بعضه ممارسة وتنظيرا[1].

2- إشكال الامداد والاستمداد

يعتبر الامداد والاستمداد في العلوم عنصرا أساسيا، فهو يوضح حدود التأثير والتأثر. وعلم الكلام من العلوم التي أمدت علوما واستمدت من أخرى.

- **الإمداد: أولا: الإمداد**

شكل علم الكلام مرجعا أساسيا لباقي العلوم الشرعية؛ علم الفقه وعلوم الحديث، وهو أشد تأثيرا في علم الأصول. " شكل علم الكلام الإطار المعرفي للنظريات الأصولية، بما هو العلم الذي يستمد منه الأصولي صحة مقولاته المعرفية، ومنه يتلقى صدق مدارك أحكام الشريعة/ وبه على خلاف أو وفاق"[2]

- **الاستمداد:**

أولا: الاستمداد من الفلسفة

علم الكلام من العلوم الإسلامية التي عرفت نهضة علمية كبرى، تأثرا بالمحيط الاجتماعي وما عرفه من تغيرات. وأخص الحديث هنا عن القرن الرابع الهجري. وهي الفترة التي عرفت انهيار الدولة العباسية، وما عقب ذلك من ازدهار الفرق الكلامية، كالخوارج والشيعة، والمعتزلة، والقرامطة الباطنية، وغيرهم. في هذه المرحلة اعتمد علماء الكلام الفلسفة بعلم الكلام خاصة في الإلهيات. وقد بين بعضها أبو الحسين الملطي(ت: 377) في كتابه " التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع[3]."

وقد بين التفتازاني المقصد من الاستمداد من الفلسفة بقوله: " لما نقلت الفلسفة إلى العربية، وخاض فيها الإسلاميون للرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ليتحققوا مقاصدها.

ثانيا: الاستمداد من المنطق

المنطق من العلوم التي تأثرت بها العلوم الإسلامية عموما وعلم الكلام على وجه الخصوص. رغم الاختلاف الحاصل بين علماء الإسلام بين من يمنع إدخال علم المنطق في علم الكلام، وبين من يرى ذلك ضرورة لابد منها. "فقد تحمل الغزالي مسؤولية التقريب العقدي للمنقول المنطقي"[4] حيث بين ضرورته لمن أراد أن يكون ثقة في علمه. " ويقول ابن تيمية " إنما دخل هذا في كلام من تكلم في أصول الدين والفقه بعد أبي حامد الغزالي في أواخر المائة الخامسة وأوائل المائة السادسة. فإن أبا حامد الغزالي وضع مقدمة منطقية من أوائل المستصفى، وزعم أن من لم يحط بها علما فلا ثقة له بشيء من علومه"[5]

3. إشكال التجريد والتعقيد في المفهوم العقدي

أولا: التعقيد

التعقيد والمقصود به فيما يتعلق باللفظ " أن يأتي الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل وقع في نظمه وترتيبه"[6]. إذا كان هذا في اللفظ، فهو في المعنى ألا يدل اللفظ على معناه دلالة ظاهرة. وهذا ظاهر في بعض المفاهيم العقدية.

ثانيا: التجريد

التجريد في المفاهيم العقدية من المسائل التي نتج عنها فصل المفهوم العقدي عن الواقع. حيث أصبح الاهتمام بالجانب النظري على حساب ربط هذا المفهوم بواقع العامة وطلبة العلم.

ونقصد به عدم اتصاله بالمدركات الحسية، مما يصعب تمثله وقياسه. وهو أعقد أكثر من الجانب الوظيفي للمفاهيم العقدية.

المطلب الثاني: الإشكالات المرتبطة بالمدرس

تتنوع الإشكالات المرتبطة بالمدرس إلى معرفية وبيداغوجية وديداكتيكية، فمنها قلة البضاعة العقدية عند بعض المدرسين، وعدم اهتمامهم بالبيداغوجيات الحديثة، وكذا ضعف التمكن من آيات النقل الديداكتيكي وغيرها. ويمكننا تفصيل هذه الإشكالات على الشكل الآتي:

الفرع الأول: الإشكال المعرفي (عدم التمكن من مادة التخصص: المعرفة العالمة).

لا يمكننا الحديث عن النقل الديداكتيكي للدرس العقدي دون لفت الانتباه إلى ضرورة ضبط هذا المجال ومعرفة خصوصيته، وتدقيق مفاهيمه. أي أن تكون للأستاذ عدة بيداغوجية وديداكتيكية ومعرفية قوية وغنية. إذ لا يتصور نجاح عملية النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في غياب التمكن من المادة المدرسة وخصوصياتها وضبط شبكتها المفاهيمية.

فعلى " قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته"[7]

ولا تخفى أهمية هذه المهارات خاصة فيما يتعلق بالدرس العقدي وما يعرفه من خصوصية، وقد بين الغزالي هذه الأهمية بقوله:

" اعلم أن الأدلة التي نحررها في هذا العلم تجري مجرى الأدوية التي يعالج بها مرضى القلوب، والطبيب المستعمل لها إن لم يكن حاذقا ثاقب العقل رصين الرأي، كان ما يفسده بدوائه أكثر مما يصلحه"[8].

الفرع الثاني: الإشكال البيداغوجي

إن عدم الاهتمام بالبيداغوجيات الحديثة عند بعض المدرسين، وعدم استثمارها في النقل الديداكتيكي للدرس العقدي من أهم العراقيل التي تحول دون نقل سليم للمفهوم العقدي. فيكون الأستاذ في هذا السلك مالكا للمعرفة ناقلا لها، أي لا يجعل المتعلم في قلب العملية التعليمية التعلمية. فيصير المتعلم " في حالة سلبية ويقل أو يغيب تفاعله"[9]. وهذا الإشكال خطير جدا في الدرس العقدي في السلك الإعدادي. فمقصدية هذا النقل تتجلى بالأساس في تقوية مناعة متعلم مراهق في الجانب العقدي، الذي يقتضي تفاعله، وحضوره الفكري، والذهني، والوجداني. وبذلك يتحقق الأثر من النقل الديداكتيكي للدرس العقدي. وهو توجيهه لحماية نفسه من الاستلاب الفكري الخارجي بكل أشكاله. فإذا لم يكن هو محور هذه العملية فإنه يصير بهذا المعنى وعاء يملأ بالمعلومات والأفكار غير الممحصة. يخزن بعضها لاجتياز الامتحان ثم يلفظها لتحل مكانها أخرى. وهو إشكال خطير فنحن لا نتحدث عن درس يقبل مثل هذا الوضع. فهو مرتبط ببناء العقيدة السليمة للمتعلم.

الفرع الثالث: عدم الاهتمام بديداكتيك المادة وخصوصية الدرس العقدي من التخطيط إلى التقويم.

1- مرحلة التخطيط

التخطيط مرحلة وضع حجر الأساس، وأركان البناء لتحقيق أهداف النقل الديداكتيكي للدرس العقدي. فإن لم يضبط الأستاذ هذه المرحلة من العملية التعليمية، فإن البناء المعرفي وأهدافه تنهار كما ينهار البناء لا محالة. خاصة ونحن نخص الحديث عن النقل الديداكتيكي للدرس العقدي.

فنحن نعرف أن المعرفة تمر بقنوات لتصل إلى المعرفة التدريسية وهي التي نتحدث عنها في مرحلة التخطيط.

وهذا يعني أن الأستاذ لا بد له من معرفة مراحل النقل الديداكتيكي وتوظيف معرفته بها في التخطيط للدرس العقدي.

أي أن عليه التمييز بين المعرفة العالمة المجردة والمعقدة في الدرس العقدي، ونقلها وتحويها إلى معرفة قابلة للتدريس.

فلو أخذنا على سبيل المثال: مفهوم الغيب باعتباره موضوعا لدرس عقدي في السنة الثانية إعدادي، فهو مفهوم غاية في التجريد والتعقيد. فالأستاذ مطالب في تخطيطه لهذا الدرس، أن يحدد المفهوم بدقة، ويخلصه مما يعلق به من إشكالات.

- عدم توفق بعض الأساتذة لاختيار الوضعية المشكلة المناسبة للدرس العقدي أثناء التخطيط له.
- الاعتماد المطلق على الكتاب المدرسي (التعاريف والشروحات نصوص الانطلاق..).
- الدخول في الخلافات الكلامية.

2- مرحلة التدبير

وهي المرحلة الأخطر لأنها تتعلق بتنزيل الدرس العقدي ونقله ديداكتيكيا من الجانب النظري المحض إلى التنزيل وفق سياق زمني وفئة مستهدفة (السلك الإعدادي، الأولى أو الثانية أو الثالثة). فإن لم يحسن تدبير هذه الحصص والتفاعلات الصفية، فلا تتحقق أهداف النقل الديداكتيكي للدرس العقدي.

فهو عملية منظمة تهدف إلى تنفيذ وتنزيل ما تم التخطيط له بيداغوجيا وديداكتيكيا نظريا، ويمكننا القول إنه الجانب العملي للنقل الديداكتيكي للمعرفة، وذلك باعتماد التواصل والتفاعل البيداغوجي، وهو ما يمكن التعبير عنه، بحسن تدبير سيرورات التعلم والاكتساب. لأنه لا يرتبط فقط بالكفاءة المعرفية، أو الانضباط للمناهج، بل يتجلى دوره بالأساس في حسن تنزيل المعارف والمهارات، ونقلها من التجريد الذهني إلى التطبيق العملي الذي يهدف إلى تحقيق كل الأهداف والكفايات والمهارات المتعلقة بكل جوانب شخصية المتعلم، المعرفية والمهارية والسيكو بيداغوجيا.

3- مرحلة التقويم

عدم مراعاة النقل الديداكتيكي في التقويم بمراحله الثلاث يؤثر على النقل السليم للدرس العقدي ويمكن بيان هذا التأثير في كل مرحلة على الشكل الآتي:

- **التقويم التشخيصي**

عدم مراعاة تمثلات المتعلمين في النقل الديداكتيكي للدرس العقدي، في مرحلة تشخيص المكتسبات من أكبر العراقيل التي تحول دون نقل صحيح للمفهوم العقدي في السلك الإعدادي. لأنه يتعلق بمرحلة أساسية من مراحل العملية التعليمية التعلمية عند المتعلم. فهي مرحلة تسمح لنا بتحديد تصوراته وتمثلاته حول المفاهيم العقدية، من قبيل أركان الإيمان السنة الأولى إعدادي. والغيب في الثانية إعدادي، وأسماء الله الحسنى في الثالثة إعدادي. فهي مفاهيم معقدة مجردة، لكل متعلم تصوره الخاص حولها.

- **التقويم التكويني**

لا تقل أهمية اعتبار النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في مرحلة التقويم التكويني، لكونه مرحلة تدخل في صميم بناء التعلمات، فهو يهدف إلى تحقيق الأهداف التعلمية في كل مراحل الدرس، وحفظ الترابط البنائي بين مراحله ونسقيته في عقل المتعلم. (ما المفهوم الأساس في درس الله عالم الغيب والشهادة. وماهي النصوص القرآنية الدالة على مفهوم الغيب، ارجعوا إلى الوضعية...).

- **التقويم الإجمالي**

لا تخفى أهمية التقويم الإجمالي، فهو يقيس لنا مدى تحقق الأهداف من النقل الديداكتيكي للدرس العقدي، لأنه مرحلة يقيس فيها المعلم مدى تحقق المفهوم العقدي عند المتعلم، ويحدد فيه مكامن النقص، وتتشخص فيه التعثرات. فيكون التدخل لدعم التعثرات التي تستدعي التدخل الفوري. وأهم تدخل متعلق بتصحيح تمثلات المتعلم حول المفهوم العقدي.

والمدرس الذي لا يحسن استثمار التقويم الإجمالي، لاستدراك الخلل الواقع لدى المتعلم في بناء المفهوم العقدي. وتصحيح تمثلاته فإنه يفسد أكثر مما يصلح، فيما يخص عقيدة المتعلم.

> **وضعية تقويمية:** اتهم جاركم أحمد صديقكم أمين بسرقة حذاء ابنه الرياضي. وهو بريء، فأقسم أمين بالقرآن والرسول على براءته، فلم يصدقه أحد.

وقد لا حظت بعض المشاكل الحقيقية عند ممارستي للنقل الديداكتيكي للدرس العقدي في السنة الأولى إعدادي بعنوان " العقيدة الصحيحة والعقائد الفاسدة"، أثناء التقويم الإجمالي لهذا الدرس قدمت وضعية تقويمية لقياس مدى تحقق أهداف الدرس والنقل الديداكتيكي لمفهوم العقيدة الصحيحة وترسيخها في ذهن المتعلم لرؤية آثارها في ممارسته العملية.

بعد قراءة الوضعية وتحليلها. طلبت من تلاميذ أحد أقسام الأولى إعدادي، تحديد الإشكال الذي تطرحه الوضعية. فأجاب أغلب التلاميذ أن الإشكال الذي تطرحه الوضعية هو " اتهام أيمن باطلا" و لم يلتفت إلا نزر قليل من التلاميذ إلى المسألة

الشركية المتمثلة في الحلف بغير الله. فتفطنت حينها أن هناك خللا في النقل الديداكتيكي لمفهوم العقيدة الصحيحة، وأساسها القائم على نبذ الشرك.

وخلاصة القول، فإن الديداكتيكي الماهر هو بمثابة صانع له أدواته العلمية والمنهجية يوظفها حسب الحاجة. وحتى تكون صناعته التدريسية صناعة متقنة ورائجة تجلب "الزبناء" لا بد وأن يحرص على الإبداع، ويتجنب النمطية والرتابة القاتلة والمملة. ولا سيما إن كان مدرسا للعلوم الشرعية، ويشتغل على الوحي، ويسعى لبناء المعرفة الشرعية أحكاما وحكما وترسيخها لدى الناشئة اغترافا من ينابيعها الصافية"[10]

المطلب الثالث: الإشكالات المتعلقة بالمتعلم في السلك الإعدادي (السيكو اجتماعية /داخلية وخارجية)

لما خصصنا الحديث عن النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في السلك الإعدادي، وجب الإشارة إلى الإشكالات المتعلقة بالمتعلم بهذا السلك، باعتباره محورا للعملية التعليمية التعلمية. ويمكن بيانها على الشكل الآتي:

الفرع الأول: إشكالات ذاتية (السيكونمائية)

وأقصد بها الإشكالات المتعلقة بالجانب النمائي للمتعلم، فنحن نخص الحديث عن السلك الإعدادي (تلاميذ تتراوح أعمارهم ما بين 13 إلى 16) وهي فترة المراهقة، التي يقارب فيها التلميذ النمو، فيحصل عنده اضطراب في بناء معارفه، واستثمار وتصحيح تمثلاته. ولا يحصل هذا إلا إذا اعتبر الأستاذ هذه المرحلة الحرجة من مراحل نمو التلميذ جسديا وفكريا ووجدانيا، في النقل الديداكتيكي للدرس عموما والدرس العقدي على وجه الخصوص. لأننا نتحدث عن بناء المعتقد الديني عند مراهق.

الفرع الثاني: إشكالات خارجية (السياق السسيوثقافي الرقمي)

لا يمكن فصل التلميذ عن مجتمعه والوسط الذي ينتمي إليه فهو مرجع أساس في بناء تمثلاته العقدية. (أسرة مثقفة أو أمية، متدينة أو متحررة. وسط حضري أو قروي).

وهنا لابد من الإشارة إلى مؤشر له تأثير خطير في بناء تمثلات التلميذ العقدية. وهو التغير أو التغيير القيمي الذي عرفته المجتمعات المعاصرة والتلميذ المراهق على وجه الخصوص. " التغير القيمي حقيقة واقعة في عالم الإنسان بكل مستويات انتمائه، بدءا من انتمائه إلى الأسرة الصغيرة مرورا بالمجتمع فالأمة الإنسانية من دون نسيان أصغر دوائر انتمائه إلى ذاته"[11].

والتأثير الخطير لوسائل التواصل الاجتماعي في بناء تمثلات التلميذ حول عقيدته، وما ينشره من أفكار شركية مباشرة كالأبراج وما يروج بها إلى العلم بالغيب. والأخطر من ذلك زعزعة فطرة التلميذ المراهق عن طريق اللعب (كلعبة الشوافة،

وهي لعبة تقوم على ذكر الطفل اسمه واسم أبيه وأمه ثم تبدأ في إعطائه معلوماته الخاصة) وقد رصدت خلال ممارستي المهنية خطورة هذه الوسائل على التلاميذ. فأغلب التلاميذ قاموا بتجريب هذه اللعبة ويؤكدون أنها تعلم الغيب.

فهذه من أخطر الإشكالات التي تحول دون النقل الديداكتيكي السليم للدرس العقدي، من مجاله العلمي في تاريخيته وتعقيداته إلى مجال تربوي بيداغوجي مدرسي له خصوصيته.

فالطفل عموما يحتاج لتجاوز هذه الإشكالات إلى تربية سليمة تجمع بين الروح والجسد تحصنه وتكسبه مناعة معرفية قيمية إسلامية، فالطفل لا يحتاج فقط إلى تقوية مناعته الجسمانية من خلال الحرص على حسن التغذية وإبعاد كل ما يضعف مناعته. بل هو أحوج إلى مناعة روحية معرفية إيمانية تحميه متقلبات الدهر والمؤثرات الخارجية بمختلف أصنافها، إذ يصير حينها قادرا على مواجهة مشكلات الحياة والانتقاء من كل دخيل لا يوافق معتقداته وقيمه.

المطلب الثالث: الإشكالات المتعلقة بالكتاب المدرسي (الدروس المختارة الأنشطة الأسناد)

إذا كان التخطيط للعملية التعليمية التعلمية يمر عبر قنوات، بدءا بالتخطيط المنهاجي، الذي يحدد الأهداف العامة والخبرات، التي تؤسس عليها الاختيارات والمحددات المؤطرة للعملية التعليمية التعلمية. ثم تنقل هذه الاختيارات والتوجيهات، إلى برامج تعليمية، تحدد المحتويات حسب المواد. ومن أهم وظائف البرنامج التعليمي النقل الديداكتيكي للمعرفة العالمة، عبر تحديد المحتويات وأنماط تدريسها، والزمن المخصص لكل سلك ولكل مادة.

وتنقل المعرفة التدريسية الخاصة بكل مادة، عبر آلية بيداغوجية تسمى الكتاب المدرسي. وهو من أهم آليات النقل الديداكتيكي " فهو أداة يدوية قبل أن يكون أداة فكرية، لأنه موجه للتشغيل. والكتاب المدرسي فوق ذلك أداة ديداكتيكية وسيطة، فهو لا يتوجه من مؤلف إلى متلقى معين، بل هو أحد أدوات النقل الديداكتيكي للمعارف العالمة، فهو تنظيم ديداكتيكي معين للمعرفة داخل وحدات مجزأة الهدف منها إكساب المتعلم عمليات ومهارات، والتحكم فيها، وبما هو كذلك، فهو أحد أدوات المنهج"[12]

فماهي الإشكالات المرتبطة بالكتاب المدرسي باعتباره آلية للنقل الديداكتيكي في الدرس العقدي؟

الدروس المقررة في مدخل التزكية قسم العقيدة في السلك الإعدادي

المستوى	الدرس	المكتسبات السابقة	الامتدادات
الأولى إعدادي	العقيدة الصحيحة والعقائد الفاسدة	الإيمان بالغيب	الله عالم الغيب والشهادة
	أركان الإيمان حديث جبريل	مراتب الدين: الإيمان	الوحي: تعريفه وأنواعه.
	النظر والتفكر سبيل المعرفة والهداية	أعرف الله من خلال خلقه	الأنبياء والرسل ورسالاتهم
	القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين	أعرف الله من خلال خلقه	صفات المؤمن الصادق
الثانية إعدادي	الله عالم الغيب والشهادة	العقيدة الصحيحة والعقائد الفاسدة	أسماء الله الحسنى
	الوحي: تعريفه وصوره	أركان الإيمان حديث جبريل	أهمية التدين في حياة الفرد والمجتمع
	الأنبياء والرسل ورسالاتهم: التعريف والصفات	النظر والتفكر سبيل المعرفة والهداية	الإسلام عقيدة وشريعة
	صفات المؤمن الصادق	القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين	أثر القرآن في تزكية النفس
الثالثة إعدادي	أسماء الله الحسنى	الله علم الغيب والشهادة	التوحيد وأدلته
	أهمية التدين في حياة الفرد والمجتمع	الوحي: تعريفه وصوره	البعث والحساب
	الإسلام عقيدة وشريعة	الأنبياء والرسل ورسالاتهم: التعريف والصفات	الجزاء الجنة والنار
	أثر القرآن في تزكية النفس	صفات المؤمن الصادق	علم الله المطلق

إن القصد من إثبات عناوين دروس السلك الإعدادي، بيان مدى ترابط السابق من الدروس باللاحق باعتبارها معرفة مدرسة، تكون نواة لبناء المفهوم العقدي عند متعلم هذا السلك؟ متسائلة أليس بالإمكان إعادة النظر في هذه الدروس؟ وتدرجها في بناء الشبكة المفهومية للدرس العقدي على وجه تتشكل فيه العقيدة الصحيحة لدى المتعلم. وتحقق الأثر في سلوكه، يعقده في قلبه بحيث لا يترك مجالا للانحراف العقدي في هذا السلك وما يعرفه من خصوصية.

الفرع الأول: إشكالات تتعلق بالمحتوى

1- تعاريف غير دقيقة للمفهوم العقدي

لا تخفى أهمية المفاهيم باعتبارها " معالم لأي حقل معرفي، إذ لا يمكن الحديث عن أي علم دون مفاهيم، تحدد إطاره النظري ومنهجية اشتغاله، فبقدر تمكن أي باحث من المفاهيم، بقدر فهمه واستيعابه للنظرية العلمية في أي حقل معرفي"[13]

من خلال ممارستي المهنية يمكنني تحديد بعض الإشكالات المتعلقة بتعريف المفهوم العقدي، في السلك الإعدادي. ومن أمثلة ذلك:

المفهوم العقدي	المفهوم العقدي	نوع الخلل
الشرك	عرف الشرك في كتاب " في رحاب التربية الإسلامية للأولى إعدادي ص:16بأنه" عبادة آلهة أخرى من دون الله، أو هو عبادة الله مع إشراك غيره به في العبادة"	تعريف غير دقيق إذ خلط بين مفهومين عقديين وعطف أحدهما على الآخر، الأول الكفر وهو الذي مثله الشق الأول من التعريف " عبادة آلهة أخرى من دون الله" والشرك الذي أشار له الشق الثاني من التعريف " أو هو عبادة الله مع إشراك غيره به في العبادة"
الغيب والشهادة	عرف الغيب والشهادة في كتاب إحياء التربية الإسلامية للثانية إعدادي، ص:14لغة و لم يشر إلى التعريف الشرعي الاصطلاحي: " الغيب ما لا تدركه حواس الإنسان، والشهادة ما يمكن إدراكه بالحواس"	التحديد الدقيق للمفهوم العقدي يقتضي تعريفه لغة واصطلاحا.

الفرع الثاني: سوء التوظيف الديداكتيكي للنص الشرعي

من أهم العراقيل التي تعيق النقل الديداكتيكي للدرس العقدي، الخلط بين وظائف النص الشرعي، أو اعتماد نص شرعي غير مناسب مع وجود الأنسب، فتجد مثلا نصا الانطلاق أقل تناسبا مع موضوع الدرس وتجد الأنسب في نشاط متعلق بالدرس.

وظائف النص الشرعي[14]:

1- النصوص المؤطرة: تتصدر هذه النصوص جميع الدروس، وتسمى بالنصوص المؤطرة للدرس، أو الأساسية، أو نصوص الإنطلاق.

2- النصوص البنائية:

- تتخلل المحتوى الأنشطة والتحليل.
- تعتمد في بناء التعلمات.
- تعتمد في بناء وبيان المفاهيم والقيم المركزية في الدرس.

3- النصوص الدعمية

- تدعم المكتسبات التربوية.
- ذات قيمة إضافية.
- تثري التعلمات.

4- النصوص التقويمية

- تعتمد الوضعيات التقويمية.
- تستدعى لقياس المهارات النصية المطلوبة.

- الإشكالات المتعلقة بالأنشطة المقترحة

✓ كتاب الرائد للثالثة إعدادي

يلاحظ في كتاب الرائد للثالثة ضعف الأنشطة البنائية، للدرس العقدي أهمية التدين في حياة الفرد والمجتمع إذ غلب عليه تقديم محتوى جاهز، إذ ما استثنينا وضعية الانطلاق، وسؤالين حول النصين المؤطرين. وهو ما يخالف التدريس بالكفايات، الذي يهدف إلى جعل المتعلم في قلب العملية التعليمية التعلمية، من خلال إشراكه في بناء الدرس، وتعبئة موارده وتحفيزه بحيث يصير دور الأستاذ توجيهيا وإرشاديا. أما ما عليه هذا الكتاب السالف الذكر، ويضاف إليه كتاب في رحاب التربية الإسلامية. فإني أراهما معينان بيداغوجيان ممثلان لبيداغوجيا المضامين، وهذا يعرقل النقل والبناء السليمين للدروس عامة والدرس العقدي على وجه الخصوص. لذلك ندعو القائمين على تأليف هذه المقررات، اعتماد بيداغوجيا الكفايات وتقديم أنشطة بنائية يشغل فيها المتعلم مهاراته ويبني تعلماته ويقوي معارفه ويصقل مهاراته.

المبحث الثاني: أسس منهجية للنقل الديداكتيكي في الدرس العقدي في السلك الإعدادي.

وقد أشرت إلى بعض هذه الأسس أثناء الحديث عن الإشكالات، فهذه الأسس ما هي إلا تجاوز الإشكالات. لذلك سأوردها مختصرة هنا.

ويمكن تقسيم هذه الأسس حسب الآتي:

الفرع الأول: مرحلة تحديد الاختيارات والتوجيهات

لا بد من اعتبار خصوصية النقل الديداكتيكي للدرس العقدي أثناء الهندسة المنهاجية للاختيارات والأهداف العامة، مرورا بصياغة البرامج والمقررات، ووصولا إلى المعرفة المدرسية والتعليمية. لأجل تطوير وتجويد المخرجات التربوية، وهي دعوة إلى تجديد منهاج التربية الإسلامية بالسلك الإعدادي، خاصة في مدخل التزكية قسم العقيدة، بما يحقق التعليم الفعال، ويعزز نهج استثمار الكفايات. لأن " مسألة نقل المعارف من المسائل الشاذة التي واجهت المدرسة النقد، فقد أمسى المتعلمون لا يجيدون استعمال الكثير من معارفهم وحتى المستوعبة من قبلهم خارج البيئة الصفية، أما خارجها فيبدو المتعلم وكأنه لم يتعلم شيئا قط"[15] هذا عموما فما بالكم بالحديث عن الدرس الشرعي والعقيدي. ويتحقق ذلك من خلال:

- الوحدة الموضوعية للدرس العقدي في كل سنة من سنوات السلك الإعدادي.

- التدرج في معالجة هذه الدروس الأربعة المخصصة لدرس العقيدة، فيبنى المفهوم العقدي بالتدرج من السهل إلى البسيط إلى لمركب.

- نظم خيط رابط منهجيا ومعرفيا بين المواضيع المدرس في السلك، بحيث يكمل بعضها بعضا.

- اعتماد الربط البنائي بين التعلمات السابقة والامتدادات.

الفرع الثاني: تحديد مقاصد وغايات الدرس العقدي والحرص على تحقيقها

لا يكمن الحديث عن النقل السليم للدرس العقيدي، دون تحديد أهداف دقيقة لهذا الدرس، وقياس مدى تحققها، وتقديم الدعم المناسب لتحقيقها. وقد نص الميثاق الوطني على المقصد العام من الدرس العقدي "جعل المتعلم محصنا ضد كل أنواع الاستلاب الفكري"[16] فالمتعلم المراهق في السلك الإعدادي الذي قارب النضج، في هذا السياق السوسيوثقافي الذي نعيشه اليوم. يحتاج إلى مناعة إيمانية قوية لمواجهة الأفكار الشركية والإلحادية. وإنما يتأتى ذلك من خلال ترسيخ العقيدة السليمة

ومن الغايات التي لا تقل أهمية عن تحصين المتعلم من الاستلاب الفكري، وخاصة المتعلق بالجانب العقدي. مسألة تصحيح التمثلات المبنية على الشرك، بطريقة علمية بنائية ووضعيات تقويمية مناسبة لا من خلال تلقين المعرفة العقدية وكذا غاية خلق التوازن بين الروح والجسد. وتسديد السلوك وفق أحكام الشريعة.

الفرع الثالث: الأسس المعرفية

والمقصود بها ضبط مادة التخصص (المفاهيم العقدية) أي أن يعرف الأستاذ خصائص علم العقيدة ويفقهها نظريا وعمليا. ولا يتأتى ذلك إلا بالتكوين المستمر في هذا المجال.

الفرع الرابع: الأسس البيداغوجية

- ✓ الإلمام بالبيداغوجيا الحديثة، التي تقوم على جعل المتعلم محورا للعملية التعليمية التعلمية، لبناء كفاياتها ومهاراته، واستثمارها لحل مختلف الوضعيات التي تواجهه في حياته اليومية. فبذلك يتحقق النقل السليم للدرس العقدي، ترسيخا للمفهوم العقدي في ذهنه وتصحيحا لتمثلاته الخاطئة حول المفاهيم العقدية المبرمجة في السلك الإعدادي.
- ✓ مراعاة الفروق الفردية للتلاميذ.
- ✓ الحرص على التكوين المستمر في المجال البيداغوجي.
- ✓ ضبط آليات النقل الديداكتيكي نظريا وعمليا.

الفرع الخامس: الأسس الديداكتيكية

- ✓ تبسيط المفهوم العقدي، دون إخلال بمعناه.
- ✓ ربط المفهوم العقدي بواقع المتعلم من خلال وضعيات تلامس واقعه وحاجياته.
- ✓ الاستثمار الجيد للتمثلات، رصدا وتحليلا وتصحيحا.
- ✓ الحرص على بناء شبكة مفاهيمية للمصطلحات العقدية، وبيان العلاقة بينها.
- ✓ تتبع المفهوم العقدي وربط السابق باللاحق.
- ✓ اعتماد منهج التدرج لبناء المفهوم العقدي، وهو منهج قرآني رباني، "فالغاية من التدرج إذن هو الإعداد والتهيئة النفسية والأخلاقية والفكرية والاجتماعية، وإعطاء فرصة أرحب لإيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المنحرفة"[17]
- ✓ اعتماد البيداغوجية المناسبة، للدرس العقدي.
- ✓ اعتماد تواصل فعال، يراعى فيه المخاطب، فيحدث بحسب استيعابه، قال ابن مسعود رضي الله عنه " ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة"[18]

وبأسلوب لين، قال تعالى "فبما رحمة لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"[19]

- ✓ حسن اختيار النص الشرعي المناسب للمفهوم العقدي، مع اعتبار وظيفية النص التي تختلف حسب مراحل الدرس.
- ✓ التركيز على الأنشطة التطبيقية لما لها من أهمية في رصد الخلل في بناء المفهوم العقدي، والتدخل لتقديم الدعم المناسب.

- ✓ القدوة، وحسن السمت.
- ✓ تنويع أساليب التدريس لنقل الدرس العقدي.

خاتمة:

يقود البحث في خاتمة هذا الموضوع إلى النتائج الآتية:

- تعترض النقل الديداكتيكي للدرس العقدي إشكالات عدة، صنفناها باعتبار مصدرها إلى:

- إشكالات راجعة إلى طبيعة الدرس العقدي وخصوصيته (الجمود والتعقيد والامداد والاستمداد).
- إشكالات راجعة إلى الأستاذ (معرفية ومنهجية وبيداغوجيا وديداكتيكية).
- إشكالات راجعة إلى متعلم السلك الإعدادي (سيكو نمائية وسسيواجتماعية).

- سطر البحث أسسا منهجية لتجاوز الإشكالات السالفة الذكر.

تتنوع هذه الأسس بين المعرفي والبيداغوجي والديداكتيكي.

- نتيجة ضرورية لنقل ديداكتيكي سليم للدرس العقدي.

لا يمكننا الحديث عن نقل مثمر للدرس العقدي إلا بتدبير تشاركي لكل القائمين على الشأن التربوي، بداء بمرحلة الهندسة المنهاجية للاختيارات والأهداف العامة، مرورا بصياغة البرامج والمقررات، ووصولا إلى المعرفة المدرسية والتعليمية.

توصية:

وهذه دعوة منا إلى القائمين على الشأن التربوي، المكلفين بمراجعة المناهج، إلى إعادة النظر في دروس مدخل التزكية قسم العقيدة، بما يحقق التدرج والترابط بين دروس العقيدة في السلك الإعدادي. وذلك من خلال اعتماد وحدة الموضوع، في كل سنة من سنوات السلك الإعدادي. فتخصص دروس السنة الأولى إعدادي في الإلهيات، والثانية إعدادي في النبوات، والثالثة إعدادي في السمعيات.

الهوامش

[1] – التقليد والاجتهاد في أصول الدين، ياسين السالمي، ص: 13.

[2] – نحو منهجية للتكامل بين العلوم الإسلامية: علم أصول الفقه نموذجا، عبد الحميد الوافي، مجلة الواضحة، العدد 6، 1432هـ/211م.

[3] – كتاب الملطي هذا من أوائل المصنفات في الرد على الفرق الكلامية وبيان ضلالها، (الرافضة والمعتزلة والشراة والمرجئة والخوارج وما تفرع عنهم من فرق أخرى.

[4] – تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمان. ص: 339.

[5] – الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص: 14-15. انظر المستصفى، لأبي حامد الغزالي، ج 1، ص: 10.

[6] – كتاب علوم البلاغة " البديع والبيان والمعاني" محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، ص34.

[7] – مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، ص: 274.

[8] الاقتصاد في الاعتقاد، دمشق، سورية، الحكمة للنشر والتوزيع، ط، 1994، ص: 29.

[9] – التعليم والتعلم الفعال نحو بيداغوجيا منفتحة على الاكتشافات العلمية الحديثة حول الدماغ، منشورات مجلة علوم التربية، عدد 39، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2015، ص: 27.

[10] – ديداكتيك تدريس النص الشرعي: إشكالات ومقترحات، إدريس بحوث، مجلة علوم التربية، ع 67، 2016، ص:147.

[11] – القيم بين التغير والتغيير المفاهيم والخصائص والأليات، مجلة دمشق مجلد 27، ع 1و2، 2011، عزت السيد أحمد، ص:3.

[12] – رهانات البيداغوجيا المعاصرة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، عبد الحق منصف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، ص: 236.

[13] – بلاغة الخطاب التربوي: من النقل إلى الفعالية، عبد الوهاب صديقي، مجلة علوم التربية، ص: 97.

[14] – ديداكتيك تدريس النص الشرعي، إشكالات ومقترحات، ص: 141. بتصرف.

[15] – النقل الديداكتيكي، مرجع سابق، ص: 54.

[16] – الميثاق الوطني، ص: 6.

[17] – فقه مقاصد الشريعة في تنزيل الأحكام أو فقه الاجتهاد التنزيلي، فوزي بالثابت، ص: 262.

[18] – صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم:12.

[19] – سورة آل عمران، الآية: 159.